الشريف السيد اللواء

مختار محمد ماضي

أبو العزائم

مؤسس مؤسسة

الإمام مُحَمَّد ماضي أبي العزائم

الحمد لِلَّهِ الذي يختصُّ برحمته من يشاء، فيجعل من بعض عباده أبوابًا للنور، ومسالك للطمأنينة، ووسائط للرحمة.

والصلاة والسلام على سيد الأنوار محمدٍ ﷺ، الذي ورث عنه الصالحون قبسًا من جماله، فصاروا هداةً للناس، ورفقاءً للقلوب في دروب الطريق إلى اللَّهِ.

هذه الصفحات ليست سردًا لتاريخٍ مضيءٍ، ولا وصفًا لحياة رجلٍ عاش ورحل؛ ولكنها محاولة لالتقاط أثر روحٍ مضيئة، مرت في الدنيا كنسمة من الجنة، خفيفة على الأرض، ثقيلة في الميزان إن شاء اللَّهُ.

إنها سيرة الشريف السيد اللواء مختار مُحَمَّد ماضي أبو العزائم رحمه اللَّهُ، رجلٍ ما جاء ليطلب مقامًا، ولا ليجمع أتباعًا، بل جاء ليكون ظلًّا من ظلال الرحمة، وامتدادًا لأنفاس أبيه الإمام أبي العزائم.

نكتب عنه.. لا لأن الكلمات تكفيه، ولكن لأن القلوب حين تحبُّ رجلًا صادقًا، تحتاج أن تُفرغ هذا الحبَّ في سطور، علَّها تُبرِّد شوقها، وتُخلِّد ذكراه، وتحفظ للأجيال قبسًا من حياته.

هذه الكلمات ليست تاريخًا جامدًا، بل رحلةً.. رحلةً مع نورٍ، تحكي عن ريحانة الإمام أبي العزائم وولده الشريف السيد اللواء مختار مُحَمَّد ماضي أبي العزائم.

تَشَرَّب من الإمام أبي العزائم، وانطلق يعيد للقلوب ضياءها، وللروح طمأنينتها، وللدعوة إلى اللَّهِ صفاءها الأول.

فمن أراد أن يعرف معنى التواضع الحقيقي، ويرى أثر الذكر في رجلٍ من أهل اللَّهِ، فليقرأ هذه الكلمات.

هناك في حياة البشر لحظات تولد فيها أنوار لا تنطفيء، وأرواحٌ يُكتب لها الخلود؛ لأنها لم تَعِش لنفسها، بل جعلت من العمر جسرًا يصل بين الأرض والسماء. فالعظيمُ لا يبدأ مجده مع مولده، ولا يُطوى أثره مع رحيله؛ إنما يعيش في القلوب، وتبقى أخلاقه وصبره وتواضعه ضياءً يمتد سرمدًا وأبدًا.

ومن بين هؤلاء الذين اختارهم اللَّهُ ليكونوا مناراتٍ في الأرض، تتجلى سيرةُ رجلٍ من أهل الصفاء؛ رجلٍ لم يكن عظيمًا بعِلمه أو منصبه فحسب، بل بعذوبة روحه، وبرقَّة قلبٍ حمل سرَّ المحبة الإلهية: إنه سماحة الشريف السيد اللواء مختار مُحَمَّد ماضي أبو العزائم – رحمه اللَّهُ رحمة واسعة.

في الرابع من أكتوبر عام ١٩٣٢ م – ١٣٥١ هـ .. وُلد طفل، فامتلأت سراي آل العزائم بالبشرى، كان الإمام أبو العزائم يومها يرقب وجه الوليد، فيرى فيه إشراقةً تُذكِّره بنور المختار ﷺ، فاختار له اسم (مختار) تيمُّنًا بميلاد سيّد الخلق ﷺ.

شبَّ الطفل مختار في كنف أبيه الإمام، وكان الإمام يحتضن أبناءه بيدٍ امتلأت رأفة ورحمة، يدعو لهم دعاء العارفين، ويستودعهم حفظ اللَّهِ، فهو الرجل الذي عمَّ نوره الآفاق عِلمًا وجهادًا وذِكرًا.

وقبيل رحيل الإمام، انكشفت الروح عن صفائها الأخير؛ فإذا بالإمام أبي العزائم – وهو على فراش الموت – يقوى فجأة، كمن أُعطي نسمة حياة جديدة ليودّع بها أحبابه، يبتسم ويطمئن، كأنه يُسلّمهم ما تبقَّى من قلبه، ثم عاد ليختم أيامه بنظمٍ رقراقٍ، يقطر خشوعًا وصدقًا، ككلمات مسافر عرف الطريق إلى اللَّهِ، فسلَّم أمره، واستودع ذريته وأصحابه فيض رحمةٍ لا تنقطع.. وقال:

مَـــوْلَايَ أَسْـــرِعْ بـــي إِلَى الْوَجْـــهِ ... إِنِّي فَنِيـــتُ عَـــنِ الْأَوْلَادِ وَالْأَهْـــلِ
مَـوْلَايَ أَنْـتَ وَلِيِّـي وَالْوَكِيـلُ فَكُـنْ ... عَـوْنَاً لَهُـمْ يَسِّـرَنْ يَا سَـيِّدِي سُـؤْلِي
الـــــدَّارُ دَارُ غُـــــرُورٍ كُلُّهَـــــا أَلَمٌ ... قَـدْ تُبْـتُ فَـاغْفِرْ لِي يَا وَاسِعَ الْفَضْـلِ
مِـنِّي سَـلَامٌ عَلَـى أَهْلِـي عَلَـى وَلَـدِي ... أَسْـتَوْدِعُ اللَّـهَ مَـنْ أَبْقَيْـتُ بِالْفِعْـلِ
مُخْتَـــارُ رَيْحَـــانَتِي مَهْدِيَّـــةٌ بِنْـــتِي ... أَرْجُـو لَـهُ وَلَهَـا مِـنْ فَضْـلِهِ الْكُلِّـي
يَا رَبِّ صَـلِّ عَلَـى الْمُخْتَـارِ سَـيِّدِنَا ... فِي الْقَـبْرِ وَسِّـعْ لِي وَاجْعَـلْ بِـهِ وَصْـلِي

وفي ليلة السابع والعشرين من رجب سنة 1356هـ، صعدت روحه الطاهرة إلى الملإ الأعلى، وترك للأمة تراثًا يفيض نورًا، كتبًا ومؤلفاتٍ وأذكارًا وصلواتٍ، وترك رجالًا حملوا عنه العلم والنور.

لكن القَدَر كان يعدُّ للمحبين روحًا أخرى ناعمة صامتة متواضعة، تنتظر لحظتها لتظهر، السيد مختار.

كان زاهدًا في الدنيا، هاربًا من الأضواء، لا يريد منصبًا ولا لقبًا، أقرب إلى الناس من نسيم الصبح، وأبعد عن حب الظهور من الغيم في عليائه.

بدأت سيرته تتسلل إلى القلوب كما يتسلل الماء العذب عبر الصخور؛ يحسُّ الناس بروحانية أبي العزائم فيه، فيبحثون عنه، يجالسونه، ويقولون في يقين: (هذا الرجل يحمل سرَّ الإمام).

ومع تزايد طلب المحبين أن يخدم تراث أبيه، بدأ بنشر كتب الإمام، ووضَع عليها اسم (الناشر: مختار أبو العزائم)، لتبدأ مرحلة إحياء كبرى لهذا التراث المبارك.

وفي صمتٍ عجيب يشبه سيرة الأولياء، كان السيد مختار يجتمع بالمحبين في بيته تارة، وفي المسجد تارة أخرى.

كلمات قليلة، لكن معانيها عميقة، وصمت أبلغ من حديث الخطباء، كان الناس يرونه فيحبونه دون سبب، فقط لأن القلوب إذا رأت الصادقَ عرفته

ثم جاءت الرحلات الدعوية الكثيرة مع المحبين والمخلصين من تلاميذ ومريدين الإمام أبي العزائم إلى البلاد التي كان يزورها الإمام في حياته من قبل.

كان يقول دائمًا: (نحن ضيوف اللَّهِ).

فإذا نزل بلدًا بات في المسجد، ومعه طعامه ومركبته، لا يكلِّف أحدًا شيئًا.

ينام في المسجد على الأرض، حوله أصحابه، رافضًا أن يميِّز نفسه بشيء.

وكان الناس يتسابقون لخدمته لكنه يبتسم ويقول: (نحن ضيوف اللَّهِ، والضيف لا يثقل على أحد)

ولأن اللَّهَ اختار له طريق الخدمة، فقد أسّس رحمه اللَّهُ (مؤسسة الإمام مُحَمَّد ماضي أبو العزائم)، لتكون مركزًا لنشر كتب الإمام، وإحياء طريقه، وخدمة السالكين، وتعليم الأجيال معاني الصفاء، وسبيل العودة إلى اللَّهِ.

حتى جاء يوم الرحيل.. وفي 19 مارس 2014م ارتقت روحه الطاهرة إلى بارئها، هادئةً كما كانت في حياتها، تاركةً وراءها سيرةً تلمس القلوب، ومؤسسةً تحمل رسالته، ومحبين ما زالوا يرونه نورًا لا ينطفيء.

هكذا كان الشريف مختار، لا يُعرف إلا حين تبحث عنه القلوب، ولا يَظهَر إلا حيث يُذكَر اللَّهُ، ولا يَطلُب إلا وجهه الكريم.

حمل سرّ أبيه، لكن في صمت، وأحيا طريقًا كاملًا، لكن بلا ضجيج، وسار بين الناس نورًا، وظلَّت سيرته تتقاطر على القلوب كما يتقاطر الندى على زهور الفجر.

رحمه اللَّهُ.. فقد كان من أولئك الذين إن مشوا على الأرض، مشت معهم الرحمة.

وفي الختام، نطوي الصفحات، لكننا لا نطوي أثر الرجل، فالروح التي تُخلَّد لا تُغلق عليها الكتب، ولا تظلُّ حبيسة الكلمات؛ بل تعيش في القلوب، وتستمر في النفوس، وتترسخ في ذاكرة من عرفوا معنى الصفاء في رجلٍ عاش لِلَّهِ، ورحل إلى اللَّهِ.

لقد كان الشريف السيد اللواء مختار رحمه اللَّهُ واحدًا من أولئك الذين إذا مرّوا بالحياة لم يتركوا وراءهم صدىً عاليًا، بل تركوا أثرًا ناعمًا، كالنسمة التي لا تُرى ولكن يشعر بها كل من مرت عليه، لم يطلب منصبًا، ولم يسعَ لذكرٍ أو مجد، ومع ذلك عرفه من عرفوه، لا بالمظاهر، بل بلمعة نور في الحديث، وراحةٍ في الجلسة، وبركةٍ في اللقاء.

إنَّ سيرة هذا الرجل ليست مُلكًا لزمن، ولا حِكرًا على مُريدٍ أو أسرة، بل هي ميراثٌ لكل قلبٍ يبحث عن الصدق؛ لكل روحٍ تفتش عن طمأنينة، لكل إنسانٍ يريد أن يتعلم معنى أن يعيش خفيفًا على الدنيا، وثقيلًا عند اللَّهِ.

نسأل اللَّهَ أن يجعل عمله نورًا في صحيفته، ورحمةً تتنزل على قبره، وأن يُلحقنا بالصادقين الذين لا يخافون إلا اللَّهَ، ولا يرجون إلا وجهه، ولا يحملون في قلوبهم إلا المحبة.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لِلَّهِ رب العالمين، وصلى اللَّهُ على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله الأطهار، ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

الحمد لله رب العالمين